

SIATS Journals

Journal of manuscripts & libraries Specialized Research

(JMLSR)

Journal home page: http: //www.siats.co.uk



مجلَّة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التَّخصصيَّة

المجلد2 ، العدد2، أيار، مايو 2018م.

ISSN 2550-1887

أهمية المخطوطات وأثرها فى العلوم والمعارف الانسانية

(دراسة حالة غرب افريقيا)

د. ادم محمد حسن ابكر

جامعة نيالا –السودان.

kabas14@gmail.com

1439 هـ 2018م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 21/2/2018
Reeived in revised form 14/3/2018
Accepted 9/4/2018
Available online 15/5/2018
Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The importance of manuscripts and their impact on science and human knowledge is a case study (West Africa). The manuscripts are the works of scholars and their works, which is an updated word after printing. Therefore, there is no mention of this word or manuscript in the words of the applicants. This was done after the entry of printing, so the books became two sections: manuscripts, and printings, some of which were written by hand, called a manuscript, God and peace be upon him, and the jurisprudence of the nation, And the nation, otherwise, is not a nation. There is no doubt that we are still in dire need of it today, but the more years we have progressed, the greater our need and the need of the nation in general. The duties of competencies, so that if it is estimated that no one did: sin is a reality for everyone.

Based on the interest of West Africa in highlighting the Islamic civilization and its effective role in all fields,especially with regard to science, the Manuscripts Department was established and entrusted with the task of collecting as much of the heritage of the Arab and Islamic nation as possible by acquiring or indexing original manuscripts, The catalog of manuscripts in the world classified by countries, and these catalogs are sources of information relied upon in the base of the Treasury of the heritage, which is a comprehensive exclusive of the Islamic manuscripts and places of existence in various parts of the world The section deals with these holdings in a scientific way codified, In terms of registration, cataloging, arrangement and display. The manuscripts are recorded in special records and numbered, and then entered into the computer, and arranged in their place inside the memorization hall specially designed for this purpose. They are equipped with controls in degrees of light, heat and humidity, Integrated, fire-fighting system.



The importance of manuscripts in the West Africa region is due to the fact that field studies and studies have proved that this region is one of the richest areas in the western continent with valuable Arabic manuscripts. Some interested in this field mentioned that it exceeded tens, but hundreds of thousands of manuscript books and tens of thousands of letters, documents, contracts, It is not surprising that there has been an enormous accumulation of books in the region for many reasons. The book has enjoyed the greatest share of public and private interest in this region. Most of the vast wealth of manuscript books now in our hands is the result of the legacy of the ancestors For the children and grandchildren, which accumulated in that era, and the scientific families have retained most of this wealth in addition to the writings of scientists and local scholars, who influenced the local libraries, and African value and distinctive composition.

There is no doubt that the African manuscripts and documents in the region are more organized and accessible to the researchers, which is located in the Ahmad Baba Altembekti Center for Documents and Manuscripts, which includes thousands of them, in addition to the local libraries located in the city of Timbuktu itself, such as the Library of the Haiderh manuscripts, the library of Mahmoud Kaat, , The library of Sheikh Mohammed Mahmoud al-Arwani, the library of imams in the Jangkirir mosque, the Sankri mosque, the Sidi Yahya al-Tadli mosque, and some of the local libraries in the villages and the Madashar of Timbuktu.

These are examples of some of the local libraries in the region, which are rich in thousands of manuscript books, rare historical documents and manuscripts, most of which are stored in iron and wood boxes. This is a bad method that often leads to serious damage to the manuscript and some of them are kept in vessels made of animal skins.



الملخص

تأتى اهمية الدراسة لتناولها عنوان(أهمية المخطوطات وأثرها فى العلوم والمعارف الانسانية دراسة حالة(غرب افريقيا) المخطوطات هي مؤلفات العلماء ومصنفاتهم، وهي لفظة محدثة بعد حدوث الطباعة، لهذا لا تجد ذكرًا لهذه الكلمة)المخطوط (أو) المخطوطات (في كلام المتقدمين، وإنما حدثت هذه اللفظة بعد دخول الطباعة، فأصبحت الكتب قسمين: مخطوطات، ومطبوعات. فما كان منها مكتوبًا بخط اليد سُمي مخطوطًا، وما طُبع منها سُمي مطبوعًا، تمييزًا ، أهمية المخطوطات كبيرة جدًا، فعلم الأمة مدون فيها، ومدون فيها الوحي وتفسيره؛ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشروحها، وفقه الأمة، وعلم الأئمة، وتاريخها، ولغتها، وغير ذلك، وأمة بغير ذلك ليست أمة، ولا شك أننا ما زلنا حتى اليوم في حاجة ماسة إليها، بل إنه كلما تقدمت بنا السنين ازدادت حاجتنا وحاجة الأمة عامة لهذا فالحفاظ عليها متعين، وهو واجب على الأمة، ومن فروض الكفايات، بحيث لو قدر أنه لم يقم به أحد: فالإثمٌ واقع على الجميع.

انطلاقاً من اهتمام غرب إفريقيا فى إبراز الحضارة الإسلامية ودورها الفاعل في كافة المجالات، وبخاصة فيما يتعلق بالعلوم، تم إنشاء قسم المخطوطات، وأنيطت به مهمة جمع اكبر قدر ممكن من تراث الأمة العربية والإسلامية، وذلك باقتناء المخطوطات الأصلية أو المصورة وفهرستها فهرسة متكاملة ، تضم قسماً لفهارس المخطوطات الموجودة في العالم مصنفة حسب الدول، وتعد هذه الفهارس من مصادر المعلومات التي أعتمد عليها في قاعدة خزانة التراث والتي تعتبر حصراً شاملاً للمخطوطات الإسلامية وأماكن وجودها في شتى بقاع العالم.، والقسم يتعامل مع هذه المقتنيات بطريقة علمية مقننة، من حيث التسجيل والفهرسة والترتيب والعرض؛ إذ تسجل المخطوطات في سجلات خاصة وترقم، ثم يتم إدخال معلوماتها في الحاسب الآلي، وترتب في أماكنها داخل قاعة حفظ المخطوطات التي صممت خصيصاً لهذا الغرض؛ فهي مزودة بأجهزة تحكم في درجات الإنارة والحرارة والرطوبة، إضافة إلى نظام أمني متكامل، ونظام مكافحة الحريق..

إن أهمية مخطوطات منطقة غرب افريقيا ترجع إلى أن الدراسات والبحوث الميدانية أثبتت أن هذه المنطقة تعد من أغنى المناطق في غرب القارة بالمخطوطات العربية القيمة ، وقد ذكر بعض المهتمين بهذا الحقل أنها تتجاوز عشرات بل مئات آلاف الكتب المخطوطة وعشرات اللآف من الرسائل والوثائق ، والعقود ، والصكوك القديمة ، ولا غرابة



في ذلك فقد حصل تراكم هائل للكتب في المنطقة لأسباب كثيرة ، فقد تمتع الكتاب في نهضة هذه المنطقة بالنصيب الأوفر من الإهتمام لدى العامة والخاصـــة. وأغلب هذه الثروة الضخمة من الكتب المخطوطة الموجودة بين أيدينا الآن هي نتيجة لما تركه الأجداد للأولاد والأحفاد مما تراكم في تلك الحقبة الزاهرة، وقد احتفظت الأسر العلمية بأغلب هذه الثروة بالإضافة إلى مؤلفات العلماء والفقهاء المحليين الذين أثروا بدورهم المكتبات المحلية ، والأفريقية بتأليف قيمة ومتميزة.

لا شك أن المخطوطات والوثائق الافريقية في المنطقة أكثر المنظم منها والمتيسر للباحثين ذلك الموجود في مركز أحمد بابا التمبكتي للوثائق والمخطوطات ، والذي يضم الآلاف منها ، بالإضافة إلى مكتبات أهلية موجودة بمدينة تمبكتو نفسها مثل مكتبة مما حيدره للمخطوطات ، ومكتبة آل محمود كعت ، ومكتبة الزاوية الكنتية ، ومكتبة الشيخ محمد محمود الأرواني ومكتبة الأئمة في مسجد جنقربير، ومسجد سنكري ، ومسجد سيدي يحي التادلي، وبعض المكتبات الأهلية في القرى والمداشر التابعة لتمبكتو.

هذه إذن نماذج لبعض المكتبات الأهلية في المنطقة التي تزخر بآلاف الكتب المخطوطة ، والوثائق التاريخية النادرة وهذه المخطوطات أغلبها محفوظ في صناديق من الحديد والخشب ، وهي طريقة سيئة تؤدي في الغالب إلى إلحاق الأضرار الجسيمة بالمخطوط وبعضهم يحتفظ بمخطوطاته في أوعية مصنوعة من جلود الأنعـــام.



أهداف الدراسة:

1- التعرف علي مفهوم المخطوطات التاريخية بغرب افريقيا .

2- ابراز دور المخطوطات فى المعارف والعلوم الانسانية بغرب افريقيا.

3- التعرف علي تاريخ المخطوطات بغرب افريقيا.

4- تسليط الضوء على أهمية مخطوطات غرب افريقيا.

مشكلة الدراسة:

تسعى الدراسة الى تبيان أهمية مخطوطات غرب افريقيا فى المعارف والعلوم الانسانية ومدى أثرها العلمى والفكرى والثقافى .

منهج البحث وأدبياته:

تاريخى – تحليلي واعتمد في صياغته على أمهات المصادر والمراجع والدراسات غير المنشورة .

أسئلة البحث :

1- ماهي المعاهد والمراكز التي شكلت الخلفية التاريخية للمخطوطات في غرب إفريقيا؟

2- ماهو الدور المعرفى والانسانى للمخطوطات التاريخية بغرب افريقيا؟

3- هل للمخطوطات أثر فى حمل التعليم الإسلامي في العصر الحديث ؟

مشكلات الدراسة:

1- عدم توفر المصادر والمراجع في معظم مكتبات السودان ذات الصلة بالموضوع.

2- معظم مصادر ومراجع الموضوع (غير منشورة)

3- عدم وجود التمويل للبحث العلمي .



مقدمة:

لقد ازدهرت الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا وبلغت درجة عالية من الرقي و الانتشار وكان من آثار ذلك الازدهار ما ترك لنا أجدادنا من تراث مخطوط يمثل قمة الحضارة و الرقي، وما يزال حبيس المكتبات، و لم ينشر منه إلا اليسير رغم أنه يواجه مخاطر كبيرة. وتعتبر مدينة تُمْبُكْتُ المالية أهم مركز للمخطوطات العربية في إفريقيا غرب الصحراء حيث يقدر أن مكتباتها تضم حوالي مائة وثمانين ألف مخطوط، أقل من عشرة في المائة منها تمت فهرستها وأكثر من خمسين في المائة مازالت مخزنة في ظروف بالغة الخطورة. ولما كانت هذه المخطوطات تمثل مظهرا من مظاهر الإشعاع الثقافي والحضاري العربي الإسلامي وكان العالم العربي الإسلامي منشغلا عنها إلا في حالات نادرة، كان السباق محموما في الغرب من أجل تحقيقها ونشرها على شبكة الانترنت. حتى إذا التفت العرب و المسلمون إلى تراثهم المخطوط إذا بالغرب قد سبقهم فحاز الشرف و قصب السبق ونال حق الافتخار بنشر التراث الثقافي للعرب والمسلمين.

تحتضن بعض مراكز تاريخية حكومية وغيرها في إفريقيا آلافا من المخطوطات النفيسة التي تحتوي على العلوم العربية والإسلامية وغيرها من العلوم. ويذكر أن وجود المخطوطات في إفريقيا الغربية يعود إلى دخول الإسلام وانتشاره فيها، منذ فجر الدعوة الإسلامية. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن في بعض الإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا: إمبراطورية غانا ، وكانم برنو ، وخلافة صكتو ، كانت اللغة العربية لغة التخاطب والعمل، «وكانت اللغة العربية لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية في غرب إفريقيا، منذ أن رسخ قدم الإسلام فيها، وأصبحت الثقافة الإسلامية هي السائدة في المجتمع، وبخاصة في عصور الإمبراطوريات الإسلامية المذكورة. ونتج عن ذلك ميلاد التراث العربي المخطوط لوجود حركة الكتابة وتشجيع السلاطين التقليديين العلماء في دفع عجلة اللغة العربية وثقافتها إلى الأمام.([1])

[1] – عبده بدوى، مع حركة الاسلام فى افريقيا، النهضة المصرية العامة للتأليف ،الخرطوم ، ط1، 1998م، ص 171.



المخطوطات في مالي

لا يمكن الحديث عن المخطوطات العربية في إفريقيا دون التطرق إلى المخطوطات الموجودة في مالي، وخاصة في مدينة تمبكتو، التي تحتوي على مجموعة تقدر بعشرة آلاف مخطوط، أكثرها بالعربية، وأخرى باللغات المحلية، وهي التي يطلق عليها اسم المخطوطات العجمية. ولا يستطيع الباحث بهذه العجالة إلقاء الضوء على جميع المخطوطات في مالي،

ولا بيان عددها بشكل محدد لكثرتها، ولأنها أيضا محاطة بالأسطورة. أما فيما يخص وضعيتها، فإنها مهددة بالعواصف الرملية، والنمل الأبيض، وبعضها ممزق، وبعضها أيضا مهدد بآثار الرطوبة، أو متآكل الأطراف، أو مبتور البداية أو النهاية. وقد تعرضت بعض مخطوطات تمبكتو للسرقة والنهب، وهدم آثار تاريخية من قبل المجموعة الإسلامية المسلحة التي تريد تطبيق الشريعة الإسلامية في مالي.([2])

ويعد مركز أحمد بابا من أهم المراكز التي تعتني بالمخطوطات هناك، وقد ساهمت منظمة اليونسكو في الحفاظ على مخطوطات مالي، وقامت جنوب إفريقيا ببناء المركز الجديد الذي يحتوي على المخطوطات في المركز ،أما مكتبة ماما حيدرا التذكارية، فإنها تحتوي على آلاف من المخطوطات، تم فهرسة الجزء الكبير منها، بالتعاون مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. وقام مركز جمعة الماجد بدبي بتزويد المكتبة بأحدث الأجهزة للترميم ورقمنة المخطوطات، كما فعلت لبعض مراكز المخطوطات في العالم.([3])

المخطوطات وأثرها العلمى فى نيجيريا:

تزخر جمهورية نيجيريا الاتحادية بالمكتبات التي تشرف عليها الحكومة والمكتبات الخاصة. ومن أبرزها: مركز البحوث وجمع المخطوطات بجامعة بايرو، ويسمى هذا المركز بمركز الوثائق، تم تأسيسه عام 1975م لمساعدة الباحثين والطلبة في جمع مواد بحوثهم وتنظيمها. ويبلغ عدد المخطوطات في المركز حوالى ألف مخطوط في التاريخ والعلوم والملفات

---

[2]– عبد الله بن فوديو، تزيين الورقات ببعض مالى من الابيات، مخطوط غير مصنف،جامعة افريقيا العالمية، ص5.

[3] – عبد الله بن فوديو ، مصدر سابق ، ص 6.



الحكومية، ومجموعة من مسجلات رئاسة المستعمرات البريطانية، ما بين عام 1899م إلى 1948م، وبعضها مصور على ميكروفيلم. وتنوعت مضامين المخطوطات الموجودة في مخزن المركز بين العلوم الشرعية والطب والتاريخ، وبحوث

المؤتمرات العالمية في مواضيع مختلفة وغيرها من العلوم النافعة. وأغلب مخطوطات المركز فيه تنتمي إلى أسرة الفوديوية الشهيرة بنشر العلم والثقافة الإسلامية في هذا الجزء من نيجيريا الاتحادية. ومركز التاريخ بولاية صكتو الذي أنشئ في عام 1975م بأمر من الوزير جنيد بن محمد البخاري عام 1906م، بغية إعادة الناس إلى تراثهم وتراث أجدادهم، ويقوم بمهمة حفظ كل ما له صلة بخلافة صكتو، ونشره وتطويره وحفظ المخطوطات وصيانتها وترجمتها، واقتناء المخطوطات الأخرى، ناهيك عن تقويمها وتوجيه الطلبة في البحث. ويمتلك المركز آلاف المخطوطات في شتى ميادين المعرفة. وللقسم علاقة التعاون مع عدة مراكز في إفريقيا، منها: قسم المخطوطات العربية والعجمية بجامعة نيامي، و مركز أحمد بابا في جمهورية مالي وغيرها من المراكز التي تحتضن المخطوطات. وتوجد في المركز قائمة تحتوي على المخطوطات التي يتصفحها الباحث عند قيامه بزيارة المركز. والملاحظ أن جل هذه المخطوطات تعاني من مشكلة الحفظ، كغيرها من المخطوطات الإفريقية. والمركز بصدد إعداد فهرس للمخطوطات، بالتعاون مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.([4])

كما يوجد قسم المخطوطات في جامعة أحمد بلو بزاريا، وهو من أقدم المراكز المتخصصة في حفظ التراث العربي الإسلامي، حيث ساهم في تأسيس العديد من المتخصصين. ويحتوي على مخطوطات قيمة ونفيسة، جمعت من شمال نيجيريا، وتم تصنيفها حسب الأسماء ، أما فيما يخص المكتبات الإسلامية الخاصة، فإنه من الصعب حصرها، وحصر عدد مقتنياتها لكثرتها، وهذا راجع إلى اهتمام أهل نيجيريا بجمع الكتب وتكوين المكتبات.([5])

[4] – على يعقوب ، اسهام علماء الافارقة فى الثقافة العربية والاسلامية، مطبعة تنمبول ،لاغوس، نيجيريا، ص197م.

[5] – نفس المرجع ، ص 198.



الاثر المعرفى للمخطوطات فى النيجر:

في النيجر فإن أول من قام بجمع واقتناء هذه الكنوز هو بوبو هما، رئيس المجلس الوطني النيجري عام 1974م، وجاءته فكرة جمع هذه النفائس انطلاقا من أعماله في التاريخ، وعلم الاجتماع والسلالة. حيث أدرك أهمية التراث العربي المخطوط في معرفة وإعادة كتابة تاريخ بعض القبائل في النيجر والدول المجاورة. وكانت هذه المخطوطات في مكتبه الخاص بالمجلس الوطني النيجري، قبل أن يتم نقلها إلى معهد الأبحاث في العلوم الإنسانية بجامعة نيامي، بعد الانقلاب العسكري عام 1974م. وفي هذا العام تم فتح قسم المخطوطات العربية والعجمية التابع لجامعة نيامي، والذي كلف بمهمة المضي قدما في اقتناء المخطوطات في جميع أنحاء النيجر، والمحافظة عليها، والتحقيق وترجمة بعض النفائس منها.([6])

وفي إطار التعريف بكنوز المخطوطات الموجودة في النيجر، قام الدكتور حسن مولاي، رئيس قسم المخطوطات العربية والعجمية بمحاولة ناجحة، متمثلة في إعداد فهرس لجميع المخطوطات الموجودة في المخزن، وبالتعاون مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الموجودة في لندن، تم فهرسة هذه المخطوطات البالغ عددها ما يزيد على أربعة آلاف مخطوطة، مختلفة الأحجام في ثمانية مجلدات. وبعد الانتهاء من عملية الفهرسة، قام القسم بترجمة وتحقيق بعض مخطوطات نفيسة، منها على سبيل المثال لا الحصر: تحقيق كتاب للشيخ عثمان بن محمد ابن فودي، المتوفى في 1233هـ-1817م بعنوان: «فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر حققه وعلق عليه الدكتور سيني موموني وسالو الحسن، وتحقيق مخطوط آخر في تاريخ قبائل زرما التي تقطن منطقة تيلابيري، والجزء الشمالي لدولة مالي بعنوان: «خطوات أهل سندر»، تحقيق الدكتور أيوب لوالي وسالو الحسن، وترجمة مخطوط آخر إلى الفرنسية: «تاريخ أبلغ وغيرها من المناطق» للشيخ عيسى بن منصور الأغلالي، وترجمه إلى الفرنسية الدكتور حسن مولاي، رئيس القسم، وتحقيق مخطوط آخر للشيخ عثمان بن محمد بن فودي بعنوان: «أجوبة محررة عن أسئلة مقررة في جواب الشيخ شيصمص بن أحمد»، قام به الدكتور أيوب لوالي، وإعداد فهرس المخطوطات التاريخية الموجودة بقسم المخطوطات، من إعداد الدكتور حسن مولاي.([7])

---

[6] – سالو الحسن ، التراث العربى المخطوط فى جمهورية النيجر ، مكتبة مخطوطات ابلغ نموذجا، مجلة التواصل ، العدد، 20،ص 197.

[7] – سالو الحسن ، فهرست المخطوطات العربية فى مدينة ابلغ، بجمهورية النيجر، بحث مقدم لدرجة الماجستير، جامعة عثمان دان فوديو،2007م، ص85.



وعند انعقاد المعرض الأول للمخطوطات في مدينة أغدس الواقعة في شمال النيجر عام 2012م، بغية إخراج هذه الكنوز من طي النسيان إلى عالم الوجود، أكد الدكتور سيني موموني، رئيس قسم المخطوطات على أن الآلاف من المخطوطات النادرة والنفيسة، بعضها موجود في المراكز الحكومية، وأخرى بحوزة مواطنين في المكاتب الأسرية، لا يملكون الإمكانيات المادية والتقنية الحديثة لحفظها من التآكل والظروف الطبيعية وغيرها. وقال: إن عشرة في المائة من هذه المخطوطات معرضة للخطر، بعضها به أثر الرطوبة، وبعضها مهدد لسوء الحفظ والصعوبات التي تعترض الجهود الرسمية لإنقاذها من الضياع. وانطلاقا من هذه الأعمال الجليلة في خدمة التراث العربي الإسلامي، فإننا نشير إلى أهمية هذه الكنوز، وضرورة الحفاظ عليها بالوسائل الحديثة.([8])

هذا وإن قسم المخطوطات العربية والعجمية التابع لمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية بجامعة نيامي بصدد تنفيذ جزء من مشروع اقتناء المخطوطات الموجودة في أيدي المواطنين في مناطق النيجر، على الرغم من قلة الإمكانات. حيث بدأ بمنطقتي مرادي وتيلابيري، وتم العثور على مخطوطات كثيرة، مكنت القسم من مواصلة الجزء التاسع من الفهرسة. وأنجز القسم ما يزيد على 20% من ذلك المشروع الذي سيشمل جميع مناطق أخرى، لاقتناء وتزويد أصحاب المكاتب الأسرية بخبرات، لحماية كنوزهم المخطوطة من الاندثار، وعدم السماح ببيعها خارج النيجر.([9])

أهمية المخطوطات وأثرها المعرفى والانسانى بموريتانيا:

أما في موريتانيا فتوجد أعداد كبيرة من المخطوطات، ولا يعرف إلى اليوم عددها بالتحديد ولعل خير دليل على ذلك، التباين الكبير بين الأرقام المتداولة في هذا المجال و التي تراوح بين ثلاثين ألفا إلى ثمانين ألف مخطوط. و لقد انتشرت المخطوطات بعد دخول الإسلام إلى هذه البلاد و انتعاش الثقافة العربية الإسلامية فيها على يد الرعيل الأول من العلماء الشناقطة. وتذكر الروايات التاريخية المحلية أن العلم انتشر في ربوع موريتانيا على يد زمرة من العلماء الذين زاروا المنطقة أو أقاموا بها في عهود الإسلام الأولى، وقد انتشر العلم في مراحله الأولى داخل ما يعرف اليوم بالمدن التاريخية الموريتانية التي تم تسجيلها في لائحة التراث العالمي للإنسانية نظرا لما تضم من تراث حضاري و تاريخي ليس لموريتانيا فحسب بل

[8] – نفس المرجع، ص 88.

[9] – ابراهيم طرخان، امبراطورية البرنو الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1975م، ،ص 112.



للبشرية جمعاء. فلا غرو أن يكون انطلاق الإشعاع العلمي للشناقطة قد بدأ من تلك المدن العلمية التي كانت تمثل بمقاييسنا المعاصرة مدنا جامعية بكل ما في الكلمة من معنى. وهذه المدن هي ولاته و شنقيط وودان وتيشيت.([10])

– ولاته: لا يعرف تاريخ نشأتها بالتحديد و قد يكون قبل ظهور الإسلام أو بعده بقليل و تذكر بعض الروايات التاريخية المتداولة محليا أن العلم انتشر في هذه المدينة على يد العالم المسمى يحيى الكامل. وقد أيد هذه الرواية الشيخ المختار بن حامد رحمه الله في كتابه "حياة موريتانيا". ومهما يكن فإن الإشعاع العلمي لمدينة ولاته بلغ أوجه خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي كما دل عليه عطاء العلماء الولاتيين في تلك الفترة ونذكر منهم على وجه الخصوص العلامة الفقيه محمد يحيى الولاتي.

– شنقيط: بنيت حسب الروايات التقليدية المتداولة خلال القرن السادس الهجري الثالث عشر الميلادي. و بلغت من الشهرة درجة أن الموريتانيين سموا الشناقطة و سميت البلاد بلاد شنقيط و ما ذلك إلا بسبب الإشعاع العلمي لهذه المدينة التي كانت المنطلق السنوي لقافلة الحجاج إلى بين الله الحرام.

– تيشيت: وهي مدينة قديمة أيضا وقد أنشأت بحسب الحوليات خلال القرن الخامس الهجري الثاني عشر الميلادي و انتشر فيها العلم على يد العالم المسمى عبد المؤمن.

وادان: بنيت عام 1147 للميلاد الموافق 542 للهجرة و قد انتشر فيها العلم على يد العالم المسمى الحاج عثمان.

و هذين العالمين كانا تلميذين للقاضي عياض المتوفى سنة 1149 للميلاد الموافق 544 للهجرة.

وتأسيسا على هذه المعطيات التاريخية يمكننا أن نعتبر أن بداية نشأة مكتبات المخطوطات كانت مع ظهور أولى حلقات العلم على يد الرعيل الأول من العلماء.([11])

وأقدم المخطوطات التي عثر عليها حتى الآن تعود للقرن الخامس الهجري، و عليه يمكننا اعتبار القرن الخامس الهجري بداية لتأسيس المكتبات و المحاظر (جمع محظرة) و هي الجامعة البدوية التي تدرس فيها مختلف العلوم العربية الإسلامية. ومن هذا المنطلق تكون مكتبات المخطوطات قد نشأت في الحواضر و المدن القديمة. لكن هذه المكتبات القديمة تعرضت للكثير من الضرر مما أدى إلى تلف أو ضياع كميات كبيرة من تلك المخطوطات. ويمكننا القول إن عصر

---

[10] – محمد بيلو بن الشيخ عثمان دان فوديو، انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور، وزارة الاوقاف، القاهرة، 1964م، ص211.

[11] – عبد الله بن فوديو، ايداع النسوخ فيما أخذت عنه من الشيوخ، مخطوط غير مصنف ، نسخة بجامعة الخرطوم، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية،ص 9.



الاستنساخ اليدوي للمخطوطات قد انتهى منذ خمسينيات القرن الماضي. لأن الهدف من تلك العملية كان هو إعادة كتب معينة بنسخها يدويا إما بغرض الحصول على نسخة مزيدة أو منقحة من نص أصلي أو بهدف استبدال مخطوط قديم تعرض للتلف لدرجة تمنع من استعماله في ظروف الدراسة العادية. فاستنساخ المخطوطات، بهذا المعنى، كان وسيلة تمكن من حفظها من الضياع. و بهذا المعنى تخرج من دائرة الاهتمام و الحفظ و الصيانة المخطوطات التي لا تمثل مصدر اهتمام لملاكها إما لأسباب علمية بحتة أو لأنها تعرضت للتلف. فهذا النوع من النصوص يكون غالبا ضحية للحال التي ذكرنا آنفا, و بالتالي يتم "حفظه" في ظروف لا تتلاءم مع طبيعته و لا توفر الشروط اللازمة لحفظ المخطوطات.([12])

أما في عصرنا الحاضر فإن أغلب مكتبات المخطوطات تعود في تأسيسها إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. كما أن الاستنساخ اليدوي للمخطوطات قد اندثر تقريبا بشكل نهائي. ولعل من أسباب هذه الظاهرة التقدم الحاصل في مجال الطباعة و التصوير الآلي وما انجر عنه من سرعة و سهولة وبساطة في توفر و توفير النصوص المكتوبة. ومن المعلوم ضرورة أن التراث الثقافي الموريتاني المخطوط هو أحد أهم مصادر تاريخ هذه البلاد و دعامة أساسية من دعائم تنمية المجتمع الموريتاني بصفته وسيلة من وسائل فهم ماضي و حاضر هذا المجتمع.([13])

وبالتالي فإن حفظ التراث المخطوط يعتبر اليوم من أولى الأولويات نظرا للوضعية المزرية التي تعيشها المخطوطات سواء في المكتبات العمومية أو الخصوصية. لكن هذا الاهتمام بالمخطوطات يجب أن يتم دون أن تتأثر طبيعة المخطوطات وحالتها الأصلية لأن ذلك قد ينتقص من قيمتها التاريخية.([14])

الوضعية الحالية للمكتبات و المخطوطات:

مكتبات المخطوطات الموريتانية هي مؤسسات تقليدية أنشأها العلماء و كبار المشايخ لغرض علمي بحت و لتكون الأساس المرجعي للمحظرة أو الجامعة العلمية البدوية التي سبق أن عرفنا بها. وتوجد هذه المكتبات موزعة في شتى أنحاء البلد و يقدر مخزونها من المخطوطات حسب المعهد الموريتاني للبحث العلمي بنسبة 80 % من المجموع. و قد عانت هذه المكتبات من الإهمال لعقود من الزمن بسبب عزوف الناس عنها تحت تأثير الكتب المطبوعة و تراجع الاهتمام بالعلوم التقليدية الذي تزامن مع ظهور الدولة الحديثة. فساءت ظروف حفظها بشكل مفاجئ وتركت عرضة لسوء

[12] – عبد الله بن فوديو، ضياء السند، مخطوط مصور لدى الباحث، ص5.

[13] – سيتي موني ، تحقيق مخطوط، فتح البصائر لتحقيق وضع البواطن والظواهر، مطبعة الشريف، 2012م، ص24.

[14] – نفس المرجح ، ص 26.



الأحوال الجوية والعوامل الطبيعية المختلفة فتلاشى منها الكثير. و لولا القيمة العاطفية لهذه المخطوطات لما وجد منها إلا القليل لكن بحكم كونها ميراثا عائليا فقد ساعد ذلك في المحافظة عليها. و هذا ما جعل مالك المخطوط يدعه عرضة للتلف بسبب عجزه عن توفير ظروف حفظ ملائمة و امتناعه عن إيداعه لدى مؤسسة توفر الحفظ الملائم.

و بعبارة فقد كانت القيمة الرمزية للمخطوط أقوى أثرا من القيمة العلمية.([15])

ومع بداية الثمانينات من القرن الماضي وبسبب الحملات التي قيم بها من طرف الهيئات العمومية المختصة (المعهد الموريتاني للبحث العلمي ، المعالي للدراسات والبحوث الإسلامية) بالإضافة إلى الباحثين المختصين تولد وعي جماعي بضرورة الاهتمام بالمخطوطات و تغيرت النظرة الضيقة التي كان ينظر بها إلى المخطوط، فلم يعد هو ذلك الإرث العائلي بل اكتسب قيمة علمية و تجارية حقيقية. فكان ذلك هو المنطلق الأول لإعادة الاعتبار لمكتبات المخطوطات. فتم في خضم تلك التفاعلات تجديد و صيانة عدة مكتبات ومن أولى المكتبات التي استفادت من هذه الوضعية نذكر المكتبات التالية:

مكتبة هارون بن الشيخ سيدي في مدينة أبي تلميت

مكتبة أهل حبت في مدينة شنقيط التاريخية

مكتبة اهل الطالب محمد في مدينة تحكجه

هيأة أهل الشيخ محمد المامي في نواكشوط

وقد تغير الحال في هذه المكتبات فلم تعد أبوابها موصدة في وجوه الزوار و صارت المخطوطات في ظروف حفظ أحسن . و تغيرت عقلية ملاك المخطوطات و ازداد حماسهم و رغبتهم في المحافظة عل هذا التراث القيم الذي يتوقع أن يعود بالنفع المادي و المعنوي على صاحبه.([16])

ورغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الدولة الموريتانية أو المنظمات الدولية أو بجهود فردية أو جماعية خصوصية، فإن الوضعية الحالية للمخطوطات وضعية حساسة و تتطلب حلا عاجل لأن الغالبية العظمى من المكتبات لم تستفد من مساعدة تأخذ في عين الاعتبار الحاجات الحقيقية للمكتبة. و لعل السبب في تأخر الحل لمعضل المخطوطات هو في

---

15 – المرجع نفسه، ص 27.

16 – محمد بيلو ، مصدر سابق،ص223.



عدم وجود سياسة واضحة و إطار قانوني مناسب ينظم و يسير التراث الموريتاني المخطوط. فالقانون الوحيد الذي يحمي التراث الثقافي الموريتاني هو القانون رقم 72160 بتاريخ 31/06 / 1972 .([17])

كما أن الأمر يحتاج أولا إلى القيام بجرد إحصائي شامل للمخطوطات. و لاشك أن عملا من هذا القبيل يتطلب وعيا جماعيا رسميا و شعبيا بأهمية التراث المخطوط، و تفكيرا جادا و معمقا في أنجع السبل لتلافي هذا التراث قبل اندثاره. فقد تعرضت مكتبات المخطوطات الموريتانية للكثير من الضرر بسبب سوء الأحوال المناخية و خاصة خلال فترة الجفاف التي ضربت البلاد مع بداية السبعينات من القرن الماضي و تسببت في نزوح أعداد كبيرة من المواطنين عن القرى و الأرياف إلى المدن الكبرى تاركة وراءها أعدادا كبيرة من المخطوطات في مهب الريح و تحت وطأة الأمطار و العواصف و الحشرات. كما لم تساعد ظروف الحياة البدوية في حفظ المخطوطات لأن سكان البوادي كانوا في ترحال مستمر طلبا للماء و الكلأ، فغالبا ما يتركون ما ثقل حمله وقلت الحاجة إليه في أوقات الشدة و الجفاف. وهكذا فقد تركت أعداد كبيرة من المخطوطات بين المقابر و الخرائب و على طرق القوافل. و ما تم الاحتفاظ به كان في ظروف حفظ سيئة.([18])

ومن هنا تكمن الحاجة في انتشال هذه المخطوطات ذات القيمة الكبيرة ليس فقط لموريتانيا بل لأنها تشكل امتدادا طبيعيا للثقافة العربية الإسلامية في دول المغرب العربي و في الأندلس. و لهذه المخطوطات قيمتها الجمالية التي لا يمكنا إغفالها: فمنها الكتب القديمة ذات الخط الجميل والمزخرفة بأسلوب قديم والمحبوكة حبكا يحتاج إلى الصيانة. فهذا النوع من المخطوطات يشكل لوحة فنية تستحق العرض في المتاحف. ومنها كتب نادرة لمؤلفين معروفين في العالم العربي الإسلامي لم يعثر على نسخ منها في أي مكان في العالم وقد وصلت من أماكن مختلفة كالأندلس و بلاد فارس و العالم العربي. و منها مؤلفات محلية تشكل مساهمة علمية من مؤلفين محليين في الإنتاج العلمي للبلد. ومنها الوثائق الكثيرة التي تمثل أرشيفا حيا بما تقدمه من معلمات تاريخية تتجاوز حدود الدولة الموريتانية الحديثة لتشمل منطقة الساحل و الصحراء. منها التعليقات على هوامش الكتب ، السجلات التي تحوي الأحكام الفقهية و النوازل و الفتاوى و العقود. و منها الحوليات التي تدون بشكل دقيق الأحداث و الوقائع في حيز زماني و مكاني معين. ومنها سجلات المعلومات

[17] – سيتي موني ، مرجع سابق ،ص 30.

[18] – على يعقوب، مرجع سابق، 200.



الفنية المتعلقة بالتنمية الحيوانية و الزراعية و الجغرافية والنباتية و المناخية ومنها كتب الرحلات التي تقدم معلومات قيمة عن البلدان المزورة و من أهمها رحلات الحج إلى بيت الله الحرام بطرق و مسالك مختلفة. وغالبا ما تضم في طياتها المساجلات العلمية وفتاوى ومؤلفات العالم جلال رحلة الحج. ومن أبرز الأمثلة عليها رحلة العلامة الفقيه محمد يحيي الولاتي.

ومنها أيضا المراسلات بين رجالات العلم والسياسة و الجاه. وهي كثيرة ومنتشرة.

وفوق كل ذلك توجد نسخ كثيرة من القرآن الكريم و كتب الحديث الشريف و المتون الفقهية المختلفة.

فهذه المخطوطات كلها تستدعي من الباحث المهتم الانتباه إلى قيمتها الكوديكولوجية (دراسة الورق و الخط والحبر والحبك و هلم جرا)([19])

مخطوطات بوركينا فاسو:

يوجد العديد من المخطوطات في بوركينا فاسو، في مكتبات خاصة، كتبها جهابذة العلماء، منهم العلامة الحاج محمد مرحبا الذي ألف أكثر من 50 مخطوطا في شتى العلوم. وقد قام الباحث كبير حسن من النيجر بإعداد رسالة الماجستير في جامعة عثمان بن محمد بن فودي حول إحدى مخطوطات الإمام محمد مرحبا في الصرف. ويمتلك قسم المخطوطات العربية والعجمية بجامعة نيامي أغلب مخطوطات الإمام.([20])

الخاتمة:

من خلال هذا العرض السريع حول الكنوز المخطوطة في إفريقيا ، وتوصلت الدراسة من إلقاء الضوء على جانب من التراث العربي الإسلامي، الذي تعج به تلك القارة، وأماكن وجودها، وحالاتها المادية، وبيان أن هذه المقتنيات تمثل بمحتوياتها المعرفية الثروة الثمينة التي تعد شاهدا ناطقا على النهضة الفكرية والثقافية التي شهدتها بعض الدول الإفريقية

---

[19] – سالو الحسن ، مرجع سابق، ص90.

[20] – ابوالبشر أدم، الشيخ عبد الله بن فوديو، جهوده النحوية فى البحر المحيط ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مايدوقرى، 1990م، ص،55.



على مر العصور، كما تعكس هذه المخطوطات مهارة علماء الأفارقة، وإبداعاتهم في شتى فنون المعرفة. فبناء على كون هذا التراث الإنساني جزءا لا يتجزأ من تراث الأمة الإسلامية.

النتائج:

1- غرب افريقيا تضم أكبر مخطوطة كنوز فكرية وثقافية.

2- أشتهرة غرب أفريقيا بمهارة وابداع علمائها فى تنظيم المخطوطات الاسلامية.

3- مخطوطات غرب افريقيا ذات أثر معرفى وانسانى.

4- مخطوطات غرب افريقيا تراث انسانى لا يتجزء من تراث الامة الاسلامية.

5- مخطوطات غرب افريقيا ثقلت العلماء بمعارف انسانية متجددة

6- غرب افريقيا تعد من أغنى المناطق بالمخطوطات العربية والاسلامية.

التوصيات:

1- جمع مخطوطات غرب افريقيا فى أرشيف واحد.

2- أجراء مزيد من الدراسات المعمقة حول مخطوطات غرب افريقيا .

3- انشاء مكتبات بالعالم الاسلامى تضم مخطوطات غرب افريقيا الاسلامية

4- توفير دعم مالى من المؤسسات الحكومية بغرض جمع مخطوطات غرب افريقيا.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام 1975م، ص 18.

2- ابو البشر أدم، الشيخ عبد الله بن فوديو، جهوده النحوية فى البحر المحيط رسالة ماجستير غير منشورة جامعة مايدوقرى، 1990م، 3- علي يعقوب: إسهام علماء الأفارقة في الثقافة العربية والإسلامية، مطبعة تنمولا- لاغوس نيجيريا، ص 4.



3- سالو الحسن، التراث العربي المخطوط في جمهورية النيجر، مكتبة مخطوطات أبلغ نموذجا، مجلة التواصل، العدد 20،

-------- ، فهرس المخطوطات العربية في مدينة أبلغ بجمهورية النيجر، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة عثمان بن فودي، عام 2007-2008م.

4- سيني موموني وسالو الحسن، تحقيق المخطوط بعنوان: فتح البصائر لتحقيق وضع العلوم البواطن والظواهر،

مطبعة الشريف، 2012م.

5- عبد الله بن فوديو، أيداع النسوخ فيما أخذت عنه من الشيوخ، مخطوط غير مصنف، نسخةبجامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية

-، تزيين الورقات ببعض مالى من الابيات ، مخطوط غير مصنف، جامعة افريقيا العالمية.

-، ضياء السند، مخطوط مصور لدى الباحث.

6- عبده بدوى، مع حركة الاسلام فى افريقيا، النهضة المصرية العامة للتأليف ، الخرطوم، ط1998،1م.

7- على يعقوب، اسهام علماء الافارقة فى الثقافة العربية والاسلامية، مطبعة تمبولا،لاغوس، نيجيريا.

8- محمد بيلو بن الشيخ عثمان دان فوديو،انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور، وزارة الاوقاف الاسلامية،القاهرة، 1964م.

